التبيين عن مُؤَدّب الأمين
علي بن حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ)

الدكتور ناصر حسين أحمد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ

المقدمة :

الحمد لله حق حمده والسلام على من لا نبي من بعده وعلى آله وصحبه وجنده .

إن التربية والتعليم ليست وليدة حاضرها وانما هي عمل انساني ملازم لكل مجتمع ، تبدأ ببداية الحياة ولا تنتهي إلا بأنتهائها ، إنها نتاج اجتماعي تاريخي تمتد جذوره في اعماق الماضي ، ولها اصولها التاريخية التي تعين على فهم القضايا التربوية في سياقها الثقافي .

كانت الحياة في بدايتها ما يتعلم ما هو ضروري لحفظ حياته ، وتمكينه من السيطرة على محيطه ، فكان الطفل يتدرب على اعمال أبيه ليصبح قادراً على حمل السلاح للدفاع عن نفسه وعشيرته ، وكذلك كانت اغراض التربية غرس الاخلاق الفاضلة والعادات الحميدة ، لاسيما أن الاخلاق والعادات كانت في غاية الاهمية عند العرب . ثم تطورت مؤسسات التعليم فكانت الكتاتيب

معروفة في الجاهلية ويوكد المؤرخون أن هناك كان من يعلم في كتاب له بالطائف ، وكذلك كان غيره[١].

وبعد نزول القرآن ومجئ الإسلام ، وكان صوتاً مجلجلاً وحدثاً فاصلاً في تاريخ العرب وتطورهم الفكري ، فقد أكد على أهمية العلم ، وضرورة تعلمه للتواصل إلى بناء الإنسان والمجتمع لتحسين أحوال البشر للتأمل في الظواهر والتفكير فيها .

وحددهيكلاً فكرياً إسلامياً جديداً أصبحت معارفهم وخبراتهم مادة أولية في بناء هذا الهيكل ، وأدل على ذلك إن أول كلمة نزل بها القرآن على رسوله الكريم في قوله تعالى : (أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)[٢]. وكان لهذه الثورة الفكرية في حياة العرب الصوت الهادر لتغيير معتقداتهم ، وتحداهم بالقرآن في لغتهم فهم أهل الفصاحة والبلاغة . فكان لزاماً عليهم تعلم القرآن الكريم ، ومبادئ الإسلام الحنيف ، فقد انبرى لهذه المهمة السامية المعلمون وأنتشر الكتاتيب بشكل واسع لتحمس المسلمين الشديد للقرآن الكريم ، ولم يكن التعليم يقتصر على الرجال وإنما كان للمرأة نصيباً في ذلك .

وفي العصر العباسي فقد تقدمت الحركة الفكرية والعلمية ، وتوسعت الدولة ببناء المؤسسات التعليمية ، وتشجيع الحركة الفكرية ودفعها للأمام ، وبدأ ذلك في العصر العباسي الأول (العصر الذهبي) ، ورغم نشوء المدارس وتطور

---

(١) ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ، حققه ثروة عكاشة ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٦٠) : ٢٠ .

(٢) سورة العلق : الآية (٣ .٥) .

الحركة الفكرية بقي للكتاتيب دوراً هاماً لعملية التعليم إذ كثرت الكتاتيب في هذا العصر ، وتزايدت وانتشرت في البلاد الإسلامية ، وانتظم أمرها بصورة جيدة لعناية الناس بأمر أولادهم من جهة ، ولاهتمام الدولة بأمر التعليم من جهة أخرى ، إذ كانت الكتاتيب المكان الوحيد الذي يتعلم فيه الناس القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم ، وشيئاً من الأشعار والأخبار .

فأن معلمي الكتاتيب كانوا ينقسمون إلى قسمين :

"١. الكتاتيب العامة هي التي تستقبلا أبناء الفقراء والطبقة الوسطى من الراغبين في تعلم القراءة والكتابة ، وكانت مفتوحة لكل من يرغب في أن يتعلم أبنه فيها .

٢. الكتاتيب الخاصة وكان لأولاد الخلفاء والأمراء والأغنياء ، ويتخذون لأولادهم معلمين خاصين يحضرون إلى القصور ويجلس الأولاد إليهم يتلقون منهم الثقافة والعلم والمعرفة ، ويسمون بـ ((المؤدَّبين))"[١]

قسمت بحثي إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : عصره .

المبحث الثاني : حياته ، اسمه ونسبه ، كنيته ، لقبه ، مولده ونشأته ، طلبه للعلم،آراء العلماء فيه ، توقيره ، رده على من يتحداه ، وفاته .

---

(١) الجندي : نزيه أحمد ، تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب ، (مطبعة الاتحاد ، دمشق ، ١٩٩٧) : ٢٥ .

المبحث الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المبحث الرابع : مؤلفاته ، الحث على طلب العلم ، وظائف المعلم ، معاملة المتعلمين ، تعليم أولاد الخلفاء ، وخاتمة .

أما الكتب التي اعتمدتها :

أولاً : كتب التراجم :

١. ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) : المنتظم .
٢. ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الأعيان .
٣. الذهبي (ت ٧٤٨هـ) : السير .
٤. ابن عبد الله الخزرجي (ت ٩٢٣هـ) : الخلاصة .

ثانياً : كتب الحديث :

١. مسلم (ت ٢٦١ هـ) : صحيح مسلم .
٢. الدارمي (ت ٢٥٥هـ) : سنن الدارمي .
٣. الترمذي (ت ٢٧٩هـ) : سنن الترمذي .

ثالثاً : تاريخ المدن :

١. الجرجاني (ت ٣٤٥هـ) : تاريخ جرجان .
٢. الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) : تاريخ بغداد.

المبحث الأول

عصره

عاش العالم والمؤدِّب علي بن حمزة الكسائي في العصر العباسي الأول الذي يسمى بالعصر الذهبي ، ويمتد من سنة ١٣٢هـ وهي السنة التي تأسست فيها الدولة العباسية وولي أبو العباس السفاح الخلافة إلى آخر أيام المأمون سنة ٢١٨هـ إذ بلغت الدولة العباسية قمة مجدها في هذا العصر ، وأنشأ التمدن

الإسلامي ، واستقر الأمن ، وازدادت ثروة الدولة العباسية زيادة كبيرة ما بلغها في عصر من العصور لازدهار الحالة الاقتصادية ، ولاهتمامهم بالزراعة ومشاريعها الأروائية ، وكذلك التجارة والصناعة . وهذا مما أدى إلى إمداد الخلافة بالأموال الكافية لبناء المدن وتوسيعها وتطويرها ، وتحسين الحالة المعاشية،وتشجيع الحركة الفكرية ، والتوسع ببناء المؤسسات التعليمية .

وقد تميز العصر بما يلي :

١. تشجيع الخلفاء والأمراء لرجال العلم والفكر ورعايتهم لهم .
٢. اتساع أفق التفكير الإسلامي ، وذلك بارتحال العلماء والطلاب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها طلباً للعلم وزيادة المعرفة .
٣. انصراف العلماء العرب والمسلمين إلى البحث والتحقيق والتأليف .
٤. ظهور المدارس الفكرية المختلفة التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق أهدافها السياسية والدينية ، وكان للجدل والحوار الذي قام بين هذه المدارس أثر بعيد في هذه النهضة العلمية التي يتميز بها هذا العصر .
٥. ظهرت العلوم وتمايزت وتنوعت ، فقل أن ترى علماً إسلامياً نشأ بعد، ولم يكن قد وضع في العصر العباسي ، ففي البداية ظهرت العلوم المساعدة ، كعلوم اللغة والنحو ، ثم انتظمت العلوم الأساسية كالتفسير والحديث ، ثم برزت علوم أخرى كالأنساب والتاريخ ، وتاريخ الأدب، والبلاغة والفقه ، وعلوم القرآن والحديث[١].

---

(١) الجندي ، تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب : ٣٤.٣٣ .

المبحث الثاني

حياته

أسمه ونسبه :

علي بن حمزة بن عبد الله بن عثمان ، وقيل بهمن بن فيروز الأسدي مولاهم الكوفي[١] .

(١) ترجمته : البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) ، التاريخ الكبير حققه السيد هاشم الندوي (دار الفكر ، بيروت) : ٦٨/٦ ؛ مسلم : ابن الحجاج بن مسلم القشيري (ت ٢٦١هـ) ، الكنى والأسماء ، حققه عبد الرحيم محمد (ط/١ ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٤ هـ) : ٢١٨/١ ؛ ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥هـ) ، الفهرست (دار المعرفة ، بيروت) : ٤٤ ؛ الخطيب البغدادي :أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) ، تاريخ بغداد (دار الكتب العلمية ، بيروت) : ٤٠٣/١١ ؛ ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ) ، المنظم (ط/١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٥٩هـ) : ١٦٨/٩ ؛ ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ) ، وفيات الأعيان ، حققه د. احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨م) : ٢٩٥/٣ ؛ الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ) ، سير أعلام النبلاء ، حققه شعيب الأرنؤوط (ط/٩ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ) : ١٣١/٩ ؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، حققه بشار عواد (ط/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ) : ١٢٠/١ ؛ الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ) ، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، حققه محمد المصري (ط/١ ، جمعية إحياء التراث ، الكويت ، ١٤٠٧هـ) : ١٥٢/١؛ ابن حجلا ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) ، نزهة الألباب في الألقاب ، حققه عبد العزيز بن محمد ، (ط/١ ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ١٩٨٩) : ٣٠٧ .

كنيته :

قال العلماء عن كنيته : يكنى بأَبي الحسن[١].

لقبه :

ولهذا العالم الجليل النحوي والقارئ والمعلم لقب أشتهر به ذكره العلماء واتفقوا عليه ولكن لهم آراء في ذلك ، وإن ذلك اللقب هو الكسائي .

قال ابن النديم : " إنما سمي الكسائي لأنه كان يحضر مجلس معاذا الهراء والناس عليهم حلل ، وعليه كساء ورداء "[٢].

قال الذهبي : " لقب بالكسائي لكساء احرم فيه "[٣].

قال ابن الجوزي : " سبب تسميته بالكسائي قولان : أحدهما : أنه احرم في كساء . والقول الثاني : قراءته الذيب"[٤].

قال الفيروز آبادي : " سمي الكسائي لكونه أَحرم في كساء ، ولأنه كان يبيع الأكسية في حداثته ، أو كان يتشح بكساء ، أو أصله من باكسايا[٥]قرية ببغداد"[٦]

(١) البخاري : التاريخ الكبير : ٦٨/٦ ؛ مسلم ، الكنى والاسماء : ٢١٨/١ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ؛ الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ١٣١/٩ .

(٢) الفهرست : ٤٤ .

(٣) سير اعلام النبلاء : ١٣١/٩ .

(٤) المنتظم : ١٦٨/٩ .

(٥) باكُسايا : بضم الكاف ، وبين الالفين ياء : بلدة بين البندنيجين وبادرايا ، بين بغداد وواسط ، في أقصى النهروان . ابن عبد الحق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ) ، مراصد الأطلاع ، تحقيق علي محمد البجاوي ، (دار إحياء الكتب العربية ، بيروت) : ١٥٦/١ .

(٦) البلغة : ١٥٢/١ .

قال الخطيب البغدادي : " قيل للكسائي : لم سميت ينوي لاني أحرمت في كساء . قلت : وقد قيل : في تسمية ينوي لم سمي ينوي كسائياً ؟ فقيل : دخل ينوي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع[١] وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه فتقدم ينوي مع آذان الفجر والحاصل وهو ملتف بكساء من البرد كان الاسود ، فلما صلى حمزة قال : من تقدم في الوقت يقرأ ؟ قيل له : ينوي أول من تقدم يعنون صاحب الكساء ، فرمقه القوم بابصارهم ، فقالوا : إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف ، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه ، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فاكله الذيب بغير همز ، فقال له حمزة : الذئب بالهمزة ، فقال له ينوي : وكذلك أهمز الحوت فالتقمه الحؤت . قال : لا . قال : فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟ وهذا فاكله الذئب ، وهذا " فالتقمه الحوت"[٢] فرفع بصره حمزة إلى خلاد الحول[٣] . وكان أجمل غلمانه . ، فتقدم إليه جماعة من أهل المجلس فناظروه فلم يصنعوا شيئاً ، فقالوا : أفدنا يرحمك الله ، فقال لهم ينوي : تفهموا عن الحائك ؟ تقول : إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استأذب الرجل ، ولو قلت : استذاب بغير همز لكنت إنما نسبته إلى الهزال لا تقول : قد

(١) السبيع : محلة بالكوفة . ابن عبد الحق البغدادي ، مراصد الاطلاع : ٦٩٢/٢ .

(٢) سورة الصافات : من الآية : ١٤٢ .

(٣) خلاد الأحول : خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي الأحول ، قارئ الكوفة تلميذ سليم . تصدر للأقراء ، وحمل عند طائفة ، وحدث عن الحسن بن صالح بن حي بن جماعة (ت ٢٢٠هـ) .ترجمته الذهبي : العبر في خبر من غبر ، حققه محمد السعيد بن بسيوني (دار الكتب العربية ، بيروت ، ١٩٨٥) : ٢١٩/١ ؛ معرفة القراء الكبار : ١٧٣ .

استذاب الرجل إذا استذاب شحمه بغير همز وإذا نسبته إلى الحوت ، تقول : قد استحات الرجل أي كثر أكله لأن الحوت يأكل كثيراً لا يجوز فيه الهمز فتلك العلة همز الذئب ، ولم يهمز الحوت ، وفيه معنى آخر لا يسقط الهمز من مفرده ولا من جمعه وأنشدهم :

إيهـــا الـــذئب وابنـــه وابـــوه   أنــت عنــدي مــن أذأب الضــاريا

فسمي ينوي من ذلك اليوم "[١]

مولده ونشأته :

لم يحدد العلماء مولد علي بن حمزة الكسائي بالضبط وإنما قالوا : " ولد في حدود سنة عشرين ومئة . النحوي أحد الأئمة مولى بني أسد من أهل الكوفة أستوطن بغداد وكان يعلم بها الرشيد ثم ولده الأمين من بعده . وكان قد قرأ على حمزة بن الزيات فأقرأ ببغداد زماناً بقراءة حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس ، وقرأ عليه بها خلق كثير ببغداد والرقة وغيرها من البلاد ، فكان أحد القراء السبعة ، وإماماً في النحو واللغة والقراءات ، ولم تكن له في الشعر يد حتى قيل : " ليس علماء العربية أجهل من الكسائي بالشعر "[٢].

---

(١) تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ .

(٢) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ؛ ابن الجوزي ، المنتظم : ١٦٨/٩ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان "٢٩٥/٣ ؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار : ١٢٠/١ .

طلبه للعلم :

كان أبو الحسن الكسائي فطناً ، وللعلم محباً ، ولمجالس العلماء حاضراً متابعاً ، فأصبح في النحو واللغة والقراءات إماماً ، وفي فنونها مؤلفاً ، ولولد الرشيد مؤدباً .

كان الكسائي أحد القراء السبعة أخذ القراءة عن حمزة الزيات ، فأثرأ بغداد زماناً بقراءة حمزة ، ثم اختار لنفسه قراءة فأقرأ بها الناس . وقال اسحق بن إبراهيم : سمعت الكسائي وهو يقرأ على الناس القرآن مرتين . وقال خلف بن هشام : كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس ، وينقطون مصاحفهم بقراءته عليهم ، قلت : لم يكن ظهر للناس الشكل بعد ، إنما كانوا يعربون بالنقط . قال خلف :قرأ الكسائي على حمزة أربع مرات[1].

كان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب ، قال الفراء[2]: إنما تعلم ينوي النحو على كبر ، وكان سبب تعلمه أنه جاء يوماً وقد مشى حتى أعيي ، والى الهارين ، وكان يجالسهم كثيراً ، فقال : قد اعييت ، قالوا له : أتجالسنا وأنت تلحن؟ فقال : كيف لحنت ؟ وقالوا له : إن كنت أردت من التعب فقل : اعييت ، وإن كنت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل : عييت مخففة ، فأنف من

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ١٣١/٩.

(٢) الفراء : يحيى بن زياد بن عبد الله أبو زكريا الفراء مولى بني أسد من أهل الكوفة نزل بغداد وأملى بها كتبه في معاني القرآن وعلومه (ت ٢٠٧هـ) . رجمته : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ١٥٤/١٤ .

هذه الكلمة ، ثم قام من فوره ذلك ، فسأل ممن يعلم النحو فارشد إلى معاذ الهرا ، فلزمه حتى انفذ ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة ، فلقي الخليل ، وجلس في حلقته ، فقال له رجل من الاعراب : تركت أسد الكوفة وتميمها ! وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة ! . فقال للخليل : من أين أخذت علمك ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة . فخرج ، ورجع ، وأنفد خمس عشرة قنينة حبراً في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ ، فلم يكن بالبصرة والخليل فوجد الخليل قد مات ، وقد جلس في موضعه يونس النحوي ، فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها ، وصدره موضعه[١].

آراء العلماء فيه :

بعد أن برع الكسائي في النحو واللغة والقراءات فقد أثنى عليه العلماء في أقوالهم لعلو منزلته في علمه .

قال الشافعي[٢] ، من أراد أن ينجر في النحو فهو عيال على ينوي[٣].

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ؛ الذهبي ، معرفة القراء الكبار ؛ الفيرز آبادي ، البلغة : ١٥٢/١ .

(٢) الشافعي : محمد بن أدريس ابو عبد الله الشافعي المطلبي (ت ٢٠٤هـ) فقيه العصر . قال الشافعي سميت ببغداد ناصر الحديث ، وقال : ماشئ أبغض إلي من الرأي وأهله . قال أبو ثور الفقيه : ما رأيت مثل الشافعي ، ولا رأى مثل نفسه . كان مولد بغزة ، ونقل إلى مكة . ترجمته : الذهبي ، سير أعلام النبلاء : ٥/١٠ ؛ العبر في خبر من غبر : ٢٦٩/١ .

(٣) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ .

قال أبو بكر بن الدفع : اجتمعت للكسائي أمور لم تجمع لغيره ، فكان واحد الناس في القرآن يكثرون عليه حتى لا يضبط الأخذ عليهم ، فيجمعهم ، ويجلس على كرسي ويتلو القرآن من أوله إلى آخره ، وهم يستمعون حتى كان بعضهم ينقط القرآن على قراءته ، وآخرون يتبعون مقاطعه ومبادئه فيرسمون في الواحهم وكتبهم ، وكان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب[١].

قال ابن مجاهد : كان الناس يأخذون عنه الفاظه بقراءته عليهم[٢].

قال ابو عبيد في كتاب القراءات : كان الكسائي يتخير القراءات ، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً ، وكان من أهل القراءة ، وهي كانت علمه ، وصناعته ، ولم نجالس أحداً كان أضبط ولا أقوم بها منه[٣].

قال أبو عمر الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول : ما رأيت بعيني أصدق لهجة من الكسائي[٤].

وقال ابو عمر الدوري : سمعت الكسائي يقول : من علامة الاستاذية ترك الهمز في المحاريب[٥].

قال أبو عمر الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول : ما رأيت بعيني أصدق لجة من الكسائي[٦].

---

(١) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد: ٤٠٣/١١ .
(٢) الذهبي ، معرفة القراء الكبار : ١٢٤ .
(٣) المصدر نفسه : ١٢٥ .
(٤) المصدر نفسه : ١٢٥ .
(٥) المصدر نفسه : ١٢٥ .
(٦) المصدر نفسه : ١٢٥ .

قيل لابي عمر الدوري : كيف صحبتم الكسائي على الدعابة التي فيه ، قال : لصدق لسانه[١] .

قال ابن النديم : كان الكسائي من قراء مدينة السلام في خلافة هرون الرشيد ، وكان يقرأ بقراءة ابن ابي ليلى الذي كان يقرأ بقراءة الإمام علي (عليه السلام) .

وقال : من القراء السبعة أصله أعجمي من أهل الكوفة ومنشؤه بها[٢].

توقيره لعلمه :

عندما بلغ في العلم منزلة مرموقة فأصبح نحوياً ولغوياً وقارئاً ، فقصده طلاب العلم لكي ينهلوا من علمه ، وأحاطوا به في مجالسه وأخذوا منه ، وطلبه الرشيد لكي يؤدب ولده الأمين .

قال الذهبي : "كان الكسائي في تيه وحشمة لما نال من الرياسة باقراء محمد الأمين ولد الرشيد وتأديبه ، وتأديبه أيضاً للرشيد ، فنال ما لم ينله أحد من الجاه والمال والأكرام وحصل له رياسة العلم والدنيا "[٣].

قال ابن النديم : "أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه ، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون فوضعا بين يديه ، فقبل رؤسهما وايديهما ، ثم أقسم عليهما إلا يعاودا ، فلما جلس الرشيد مجلسه ، قال : أي الناس أكرم خادماً ؟ قالوا : أمير المؤمنين أعزه الله ، قال : بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون ، وحدثهم الحديث "[٤].

---

(١) المصدر نفسه : ١٢٥ .
(٢) الذهبي ، معرفة القراء الكبار : ٤٥ .
(٣) معرفة القراء الكبار : ١٢٥ .
(٤) الفهرست : ٩٧ .

قال الخطيب البغدادي : " قال ينوي : صليت بهارون الرشيد فاعجبتني قراءتي ، فغلطت في آية ما أخطأ بها صبي قط أردت أن أقول : (لعلهم يرجعون)[١]، فقلت:(لعلهم ترجعين) ، قال : فو الله ما اجترأ هرون أن يقول : أخطأت ، ولكنه لما سلمت قال لي يا كسائي أي لغة هذه ؟ قلت : يا أمير المؤمنين : قد يعثر الجواد ، فقال : أما هذا فنعم "[٢].

رده على من يتحداه :

كان عالماً جليلاً فاق أقرانه من العلماء في علمه ، فحاولوا التقليل من شأنه في مواقف معينة عند طرح أسئلتهم عليه لأفحامه ، ولكنه كان سريع البديهية في الإجابة لأنه سبر غور العلم فيفحمهم . " وله مع سيبويه وابي محمد اليزيدي مناظرات "[٣].

وقال ابن خلكان : اجمع يوماً بمحمد[٤]بن الحسن الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد ، فقال الكسائي : من تبحر في علم تهدى إلى جميع العلوم ، فقال له محمد ما تقول فيمن سها في سجود السهو؟ هل يسجد مرة أخرى؟ . قال الكسائي : لا ، قال : لماذا ؟ قال : لأن النحاة تقول : الصغير لا يصغر هكذا

(١) سورة آل عمران : من ألآية : ٧٢ .

(٢) تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ .

(٣) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢٩٥ .

(٤) محمد بن الحسن / ويكنى ابا عبد الله ، وهو مولى لبني شيبان ، وولد بواسط ، ونشأ بالكوفة . جالس أبا حنيفة وأخذ عنه فغلب عليه الرأي ، وقدم بغداد فنزلها وسمع منه الحديث ، وأخذ عنه الرأي ، وخرج إلى الرقة فولاه الرشيد القضاء ، ثم عزله (ت ١٨٩هـ) . ترجمته : ابن النديم : الفهرست : ٢٨٧ .

وجدت هذه الحكاة في عدة مواضع ، فقال محمد : فما تقول : في تعليق الطلاق بالملك ، قال : لا يصح ، قال : لم ؟ قال : لأن السيل لا يسبق المطر[١].

قال عمر الدوري : كان أبو يوسف يقع في ينوى أيش يحسن أنما لا يحسن شيئاً من كلام العرب ، فبلغ ينوي ذلك ، فالتقيا عند الرشيد ، وكان الرشيد يعظم ينوي لتأديبه أياه ، فقال لابي يوسف أيش تقول في رجل قال لامرأته أنتِ طالق طالق طالق ، قال : واحدة ، قال : فأن قال أنتِ طالق أو طالق أو طالق ، قال: واحدة ، قال : فإن قال : طالق ثم طالق ثم طالق ، قال : واحدة ، قال : يا أمير المؤمنين أخطأ أبو يوسف في اثنين ، وأصاب اثنين ، أما قوله أنتِ طالق طالق طالق فواحدة لأن الثنتين الباقيتين تأكيد كما يقول : أنت قائم قائم قائم ، وأنت كريم كريم كريم ، أما قوله أنتِ طالق أو طالق أو طالق ، فهذا شك وقعت الأولى التي تتيقين ، أما قوله طالق ثم طالق ثم طالق ، فثلاث لأنه نسق ، وكذلك طالق وطالق وطالق[٢].

وفاته :

بعد أن ألف وصنف وأدب وبرع في النحو واللغة والقراءات . وكان قد خرج في صحبة هرون الرشيد ، فمات سنة تسع وثمانين ومائة بالرَّي [٣]، ودفن بقرية أرنبوية . وقال الرشيد : دفنت العربية[٤].

---

(١) ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢٩٥ .

(٢) الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ .

(٣) الرَّيّ : بفتح أوله ، وتشديد ثانيه : مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن ، كثيرة الاخيرات ، قصبة بلاد الجبال ، على طريق السابلة ، كانت أكبر من أصفهان بكثير . ابن عبد الحق البغدادي ،مراصد الأطلاع : ٦٥١/٢ .

(٤) ابن النديم ، الفهرست :٤٥ ؛ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد : ٤٠٣/١١ ؛ ابن خلكان ، وفيات الأعيان : ٢٩٦ .

المبحث الثالث

شيوخه وتلاميذه

شيوخه :

كان أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي ، ذهنه يتوقد ، وإلى مجالس العلماء يردد ، وإليهم يتودد ، فحوى العلم وأصبح من علماء الأمس والغد .

وسنترجم لشيوخه حسب حروف المعجم :

١. الأعمش[١] :

سليمان بن مهران الكاهلي مولاهم الكوفي الأعمش أحد الأعلام الحفاظ والقراء ، روى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وعكرمة . وقال أبو حاتم : لم يسمع منهما. وروى عن :زيد بن وهب وابي وائل وإبراهيم التيمي والشعبي ، وخلق . وروى عنه : ابو اسحق والحكم وزبيد وخلق . قال ابن المديني : له نحو الف ثلثمائة حديث . وقال ابن عيينة : كان اقراءهم وأحفظهم وأعلمهم . وقال عمرو ابن علي : كان يسمى المصحف لصدقه . وقال العجلي : ثقة ثبت (ت ١٤٨هـ).

٢. ابو بكر بن عياش[٢]

ابن سالم الأسدي الكوفي الحناط المقرئ الفقيه (ت ١٩٣هـ) المحث شيخ الإسلام ، وبقية الأعلام مولى ، واصل الأحدب . وفي اسمه أقوال اشهرها شعبة فأن أبا هاشم الرفاعي وحسين بن عبد الأول سألاه عن اسمه ، فقال : شعبة ،

---

(١) ترجمته:الذهبي ، السير : ٢٢٦/٦ ؛ اغبن عبد الله الخزرجي ، الخلاصة : ١٥٥ .

(٢) ترجمته :الذهبي ، السير : ٤٩٥/٨ ؛ العبر : ٢٤٢/١ .

وسألاه يحيى بن آدم ، فقال : اسمي كنيتي . وأما النسائي فقال اسمه محمد . وقال ابو بكر : الدخول في العلم سهل لكن الخروج منه إلى الله شديد .

٣. جعفر الصادق[1] (عليه السلام)

ابو عبد الله جعفر الصادق ولد ابي جعفر محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الهاشمي العلوي ، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر ، فهو علوي الأب بكري الأم . روى عن أبيه وجده القاسم . وكان سيد بني هاشم في زمانه (ت ١٤٨هـ) .

٤. حبيب الزيات[2]

فارس الكوفة أبو عمارة حمزة بن حبيب التيمي مولى تيم الله بن ربيعة الكوفي الزيات الزاهد أحد القراء السبعة .قرأ على التابعين ، وتصدر للأقراء فقرأ على جلة أهل الكوفة . وحدث عن الحكم ، وابن عيينة وطبقته . كان رأساً في القرآن والفرائض ، قدوة في الورع (ت ١٧٥هـ) .

٥. الخليل بن أحمد الفراهيدي[3]

الخليل بن أحمد الأزدي البصري ابو عبد الرحمن صاحب العربية والعروض ، روى عن أيوب السختياني وطائفة . كان إماماً كبيراً في لسان العرب . خيراً متواضعاً ، فيه زهد وتعفف . صنف كتاب العين . ويقال : أنه حج فدعا

(١) ترجمته : الذهبي ، السير : ٢٥٥/٦ ؛ العبر :١٦٠/١ .
(٢) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٣٢١ ؛ الذهبي : العبر : ١٧٤/١ .
(٣) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٦٣ ؛ الذهبي ، العبر : ٢٠٧/١ .

الله أن يرزقه علماً لم يسبق إليه ورجع وقد فتح عليه بعلم العروض ، فوضعه ورتبه (ت ١٧٥هـ) .

٦. الرؤاسي[١]

الرؤاسي محمد بن ابي سارة يكنى ابا جعفر ، وسمي الرؤاسي لكبر رأسه ، وكان ينزل النيل ، فسمي النيلي . هو أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو . قال ثعلب : كان الرؤاسي استاذ الكسائي والفراء ، له عدة مؤلفات ، وكان الرؤاسي رجلاً صالحاً .

٧. ابن عيينة[٢]

سفيان بن عيينة بن ابي عمران الهلالي مولاهم ابو محمد الأعور الكوفي أحد أئمة الأعلام . روى عن : عمرو بن دينار والزهري وزيد بن اسلم وصفوان ابن سليم ، وخلق كثير . وروى عنه : شعبة ومسعر من شيوخه وابن المبارك من أقرانه . قال الشافعي : لولا مالك وابن عيينة لذهب علم المجاز (ت ١٩٨هـ) .

٨. عيسى بن عمر المقرئ :

الأسدي ابو عمر الكوفي الضرير المقرئ المعروف بالهمداني ، روى عنه : عطاء وعمرو بن مرة ، وروى عنه ابن المبارك ، ووكيع ، ووثقه ابن معين (ت ١٥٥هـ) .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست : ٩٦ ؛ الذهبي ، العبر :٩٦/١ .

(٢) الذهبي ، العبر : ٢٥٤٥/١ ؛ ابن عبد الله الخزرجي ، الخلاصة : ١٤٦ .

٩. ابن ابي ليلى [١] :

محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى الانصاري الفقيه ، لم يدرك أباه ، سمع الشعبي ، وطبقته . قال أحمد بن يونس : كان أفقه أهل الدنيا وصاحب قرآن وسنة . قرأ على حمزة الزيات ، وكان صدوقاً جائز الحديث (ت ١٤٨هـ) .

١٠. محمد بن عبيد الله العرزمي [٢]:

ابن ابي سليمان الفزاري أبو عبد الرحمن العرزمي الكوفي . روى عن : عطاء وعمرو بن شعيب . وروى عنه ، الثوري وعلي بن مسهر (ت ١٥٥هـ).

١١. معاذ الهرا [٣]:

هو ابو مسلم معاذاً الهراء ، وقيل يكنى أبا علي ، من موالي محمد بن كعب الفرظي ، وكان أبوه كناه بابي مسلم ، ثم ولد له ولد سماه علياً فكنى به ، وكان معاذ صديقاً للكميت ، فأشار عليه بالخروج من عمل خالد القسري ، وعاش معاذ إلى أيام البرامكة ، وقيل : معاذ بن مسلم النحوي شيخ الكسائي (ت ١٨٧هـ) .

---

(١) ترجمته : الذهبي ، السير : ٣١٠/٦ ؛ العبر : ٦٣/١ .

(٢) ترجمته : البخاري ، التاريخ الكبير ، حققه السيد هاشم الندوي ، (دار الفكر ، بيروت) : ٢٧١/١ ؛ ابن عبد الله الخزرجي ، الخلاصة : ٣٥ .

(٣) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٩٧ ؛ الذهبي ، العبر :٢٣٠/١.

١٢. يونس [١]:

ابن حبيب أبو عبد الرحمن مولى لبني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وذكر ابو سعيد إنه يكنى بابي محمد ، مولى ضبة . وقال صاحب مفاخر العجم : إنه أعجمي الأصل من أهل الجبل ، وكان أعلم الناس بتصاريف النحو (ت ١٨٣هـ) .

تلاميذه :

بعد إن برز الكسائي في النحو واللغة والقراءات ، فأصبح مشهوراً يطلبه الدارسون ، وينهل من علمه الناهلون ، ليلقوا رضاء ربهم في جناته خالدون ، فحضر درسه تلاميذه الراغبون الذين هم للعلم متشوقون ، فأصبحوا فيما بعد علماء مشهورين . سنترجم لهم حسب حروف المعجم :

١. خلف البزار [٢]:

الإمام أبو محمد خلف بن هشلم البزار ، شيخ القراء ، والمحدثين ببغداد . سمع من مالك بن أنس ، وطبقته ، وله اختيار فألف فيه حمزة في أماكن . وكان عابداً صالحاً كثير العلم صاحب سنة . وله مؤلفات منها كتاب حروف القرآن (ت ٢٢٩هـ) .

(١) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٦٣ ؛ الذهبي ، السير : ١٩١/٨ .

(٢) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٥٦ ؛ الذهبي ، العبر :٣١٨/١ .

٢. الفراء [١]:

يحيى بن زياد الفراء الكوفي النحوي ، نزل بغداد وحدث بها في مصنفاته عن قيس بن الربيع ، وابي الأحوص . وهو أجل أصحاب الكسائي . وكان رأساً في النحو واللغة (ت ٢٠٧هـ) .

٣. القاسم بن سلام [٢]:

أبو عبيد الأزدي مولاهم البغدادي صاحب التصانيف ، وأحد أعلام الإئمة. روى عن : هشيم ، وابن عيينة ، وابن المبارك . وروى عنه : عباس الدوري ، ومحمد بن اسحاق الصاغاني . قال اسحق : ابو عبيد أفقه مني . قال أبو داود : ثقة مأمون (ت ٢٢٤هـ).

٤. قتيبة بن مهران الاصبهاني [٣]:

أبو عبد الرحمن أحد نحاة الكوفة أخذ عن الكسائي وصحبه وصار إماماً . المقرئ صاحب الإمالة قرأ على الكسائي أكثر من أربعين سنة حتى قيل : إن الكسائي قرأ عليه .

٥. محمد بن يزيد الرفاعي [٤]:

محمد بن يزيد بن رفاعة ابو هشام الكوفي توفي ببغداد سنة (٢٤٨هـ) . وهم يتكلمون فيه .

---

(١) ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٩٨ ؛ الذهبي ، العبر : ٢٧٨/١ .

(٢) ترجمته : الذهبي ، العبر :٣٠٨/١ ؛ ابن عبد الله الخزرجي ، الخلاصة : ٣١٢ .

(٣) ترجمته : الذهبي ، معرفة القراء الكبار : ٢١٢ ؛ الفيرز آبادي ، البلغة : ٧٥/١ .

(٤) فترجمته : البخاري ، التاريخ الأوسط (دار الوعي ، حلب ، ١٩٧٧) : ٣٨٧/٢ ؛ الذهبي ،معرفة القراء : ١٢١.

٦. هشام الضرير[١] :

هشام بن معاوية الضرير يكنى أبا عبد الله صاحب الكسائي . وله كتاب المختصر ، وكتاب القياس .

٧. يحيى بن آدم [٢]:

ابن سليمان ويكنى ابا زكريا مولى لآل عقبة بن ابي معيط مات بفم الصلح سنة (٢٠٣هـ) . وهو الكوفي أحد الأعلام . روى عن : مالك بن مغول وفطر بن خليفة ، وطائفة . وروى عنه : أحمد واسحق ، وابن المديني ،

المبحث الرابع

مؤلفاته

كان الكسائي عالماً بارعاً ، ومؤلفاً متميزاً ، برع في النحو واللغة ، والقراءات ، وإن العصر الذي عاش فيه ساعد على ذلك . سأذكر قسماً من مؤلفاته حسب حروف المعجم .

١. كتاب اختلاف العدد [٣]. مطبوع .
٢. كتاب أشعار المعايات وطرائقها[٤]. مطبوع .
٣. كتاب الحروف[٥] . مطبوع .

---

(١) ترجمته : البخاري ، التاريخ ألأوسط : ٣٧٥/٢ ؛ ابن النديم ، الفهرست : ١٠٢ .
(٢) ترجمته:ابن النديم،الفهرست : ٣١٧ ؛ ابن عبد الله الخزرجي ، الخلاصة :٤٣٠ .
(٣) ابن النديم ، الفهرست : ٩٨ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٨ .

٤. كتاب العدد[١]. مطبوع .
٥. كتاب القراءات[٢].مطبوع .
٦. كتاب مختصر النحو[٣]. مطبوع .
٧. كتاب معاني القرآن[٤]. مطبوع .
٨. كتاب المصادر[٥]. مطبوع .
٩. كتاب مقطوع القرآن وموصوله[٦]. مطبوع .
١٠. كتاب النوادر الأوسط[٧]. مطبوع .
١١. كتاب النوادر الصغير[٨] . مطبوع .
١٢. كتاب النوادر الكبير[٩]. مطبوع .
١٣. كتاب الهاآت المكنى بها في القرآن[١٠] . مطبوع .
١٤. كتاب الهجاء[١١] . مطبوع .

---

(١) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٣) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٤) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٥) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٦) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٧) ابن النديم ، الفهرست: ٩٨ .
(٨) المصدر نفسه : ٩٨ .
(٩) المصدر نفسه : ٩٨ .
(١٠) المصدر نفسه : ٩٨ .
(١١) المصدر نفسه : ٩٨ .

الحث على طلب العلم :

إن الله تعالى أمرنها بطلب العلم والسعي من أجله ، وجعل الجنة مأوى طالبه ، والعالم الذي بقي علمه ينتفع به بعد موته .

إذ أمتن الله تعالى على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) بالعلم في مواضع كقوله تعالى : (وأنزل عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما) [١] . وأمره أن يسأل ربه أن يزيده علماً فقال تعالى (وقل ربِّ زدني علماً) [٢] .

وقال (صلى الله عليه وسلم) : " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة "[٣]. سلوك الطريق لالتماس العلم يحتمل أن يراد به السلوك الحقيقي ، والسعي بالأقدام إلى مجالس العلم ، ويحتمل أن يشمل ما هو أعم من ذلك من سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم ، بل حفظه ودراسته ومطالعته وكتابته ومذاكرته والتفهم له والتفكر فيه ، ونحو ذلك من الطرق التي يتوصل بها المعلم[٤]

(١) سورة النساء : من الآية : ١١٣ .
(٢) سورة طه : من الآية : ١١٤ .
(٣) مسلم : ابن الحجاج النيسابوري (ت ٢٦١هـ) : صحيح مسلم ، حققه محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي ، بيروت) : ٢٠٧٤/٤ .
(٤) ابن رجب الحنبلي : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٥٢هـ) ، شرح حديث العلم ، حققه د. ناصر حسين أحمد (ط١ ، دار نحلة ، بغداد ، ٢٠٠٨) : ٥٢ .

وخرج الطبراني من حديث جابر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحيتان في البحار "[١].

وقال الإمام علي (عليه السلام) لكميل[٢] بن زياد مظهراً أن محبة العلماء من الدين : " ومحبة العلماء دين يدان به "[٣].

---

(١) الطبراني : سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠هـ) ، المعجم الأوسط حققه محمد بن عوض بن محمد ، (دار الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥هـ) :٢١٤/٦ ؛ الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن (ت ٢٥٥هـ) ، سنن الدارمي ، حققه أحمد زمرلي (ط/١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٧هـ) :١١/١.

(٢) كميل بن زياد : النخعي الكوفي (ت ٨٢ هـ) ، وكان شريفاً مطاعاً متعبداً ، روى عن الإمام علي (عليه السلام) ، وشهد معه صفين ، وروى عنه عبد الرحمن بن جندب ، وثقه ابن سعد ، قال خليفة : قتله الحجاج سنة اثنتين وثمانين . ترجمته : الذهبي ، العبر :٧٠/١ ؛ ابن عبد الله الخزرجي : صفي الدين أحمد (ت ٩٢٣هـ) ، خلاصة تهذيب الكمال (ط/٢ ، المطبوعات الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧١) : ٣٢٧.

(٣) ابو نعيم : أحمد بن محمد (ت ٤٣٠هـ) ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ط/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٨) :٨٠/١ ، ؛ ابن الجوزي ، صفوة الصفوة ، حققه محمد فاخوري (ط/١ ، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٧٩) :٣٣٠/١.

قال الإمام أحمد[١] : " العلم لا يعد له شيء "[٢]. وقال الحسن[٣]: " مداد العلماء ودم الشهداء مجرى واحد "[٤].

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : " من خرج في طلب فهو في سبيل حتى يرجع "[٥]. وورد حديث آخر : " إذا جاء الموت طالب العلم فهو شهيد "[٦].

وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى العلماء الربانيين الممدوحين في موضع كتاب الله عز وجل ، فقال : " الناس ثلاثة عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهمج رعاع "[٧] . ثم ذكر حديثاً طويلاً وصف فيه علماء السوء

---

(١) الإمام أحمد : ابن حنبل الذهلي الشيباني المروزي البغدادي (ت ٢٤٠هـ) ، شيخ الإسلام ، وعالم عصره ، وكان عالماً في الحديث وضروبه ، إماماً في الفقه ودقائقه . ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٣٢٢ ؛ الذهبي، العبر :٣٤٣/١.

(٢) المرادي : علي بن سليمان (ت ٨٨٥هـ) ، الأنصاف ، حققه محمد حامد (دار التراث العربي ، بيروت) :١٨١/٤ .

(٣) الحسن : ابن ابي الحسن البصري (ت ١١٠هـ) ، واسم يبسار مولى الانصار ، وأمه (خيرة) مولاة اسم سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وسلم) . ترجمته : ابن قتيبة : عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ) ، المعارف ، حققه ثروتت عكاشة (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٦٠) : ٤٤٠ ؛ الذهبي ، السير : ٥٦٣/٤ .

(٤) الجرجاني : حمزة بن يوسف (ت ٣٤٥ هـ) ، تاريخ جرجان ، حققه محمدج عبد المعين خان (ط/٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤) : ٨٠/١ .

(٥) الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) ، سنن الترمذي ، حققه أحمد شاكر (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٤٠١ هـ) : ٣٦٠/١ .

(٦) المصدر نفسه : ٦٠/١.

(٧) ابن الجوزي ، صفوة الصفوة : ٣٢٩/١ . ٣٣٠ .

والعلماء الربانيين ، وقال (عليه السلام) : " إن الفقه قبل التجارة إن من أتجر قبل أن يتفقه فقد ارتطم في الربا ثم ارتطم "[١] . وقال عمر (رضي الله عنه) : " لا يبيع في سوقنا إلا من قد فقه في الدين "[٢].

وفي الأثر : " كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ، أو محباً ، ولا تكن خامساً فتهلك "[٣].

وظائف المعلم المرشد :

لا يمكن أن يختار لمهنة التعليم إلا المعلم الذي توافرت فيه شروط الألمام بالعلم وبطبيعة المتعلمين وطرائق تدريسهم على أن تتوافر فيه الأخلاق والصفات الحميدة التي تؤهله لهذه المهمة النبيلة . فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعى عظيماً في ملكوت السموات ؛ فأنه كالشمس تضئ لغيرها وهي مضيئة في نفسها ، وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب . ونجمل وظائف المعلم التي ذكرها الغزالي :

" ١. الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين .

٢. أن يقتدي بصاحب الشرع (صلى الله عليه وسلم) فلا يطلب على أفادة العلم أجراً ، ولا يقصد به جزاء ولا شكراً .

---

(١) الشريف الرضي ، محمد بن الحسين (ت ٤٩٨ هـ) ، نهج البلاغة (نشر لقاء ، طهران) : ٧٢٥/٤ .

(٢) الترمذي ، سنن الترمذي : ٣٥٧/٢ .

(٣) ابن رجب الحنبلي ، شرح حديث العلم : ٢٠.

٣. أن لا يدع من نصح المتعلم شيئاً ؛ وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبهه على أن الغرض من طلب العلم التقرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهات والمنافسة .

٤. ومن دقائق صناعة التعليم ، أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريقة التعريض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريقة الرحمة لا بطريق التوبيخ ، فأن التصريح يهتك حجاب الهيبة ، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ، ويهيج الحرص على الأصرار .

٥. أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علوم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علوم الحديث والتفسير .

٦. أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه ، ولا يلقي إليه ما لا يبلغه عقله ، فينفره أو يخبط عليه عقله .

٧. أن يلقي على المتعلم الجلي المفهوم الواضح ، ولا يذكر به أنه يدخر عنه تدقيقات أعلى من منزلته لئلا ينحرف المتعلم عن السهل الجلي .

٨. أن يكون المعلم عاملاً بعلمه فلا يكذب قوله فعله ، فلا ينهى عن خلق ويأتي مثله ، فإن العلم يدرك بالبصائر ، والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإن خالف العمل العلم منع الرشد . "[١]

(١) الغزالي ، محمد بن محمد (ت ٥٠٥ هـ) ، إحياء علوم الدين ، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤) :٦٣.٦٠ .

معاملة المتعلمين :

لقد ندد ابن خلدون بأساليب العنف في تربية الأطفال ، ونصح بالأبتعاد عن الشدة والقسوة ، ومحذر اً من سوء عواقبها النفسية والخلقية، وفي هذا الصدد يقول في المقدمة تحت عنوان : " إن في الشدة مضرة بهم : إن إرهاق الحد في التعليم مضر بالتعلم ، ولاسيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة . ومن كان مرباه بالتعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها ، وذهب بنشاطها ، ودعاه إلى الكسل وحمله على الاكذب والخبث خوفاً من انبسياط الأيدي بالقعر عليه ، وعلمه المكر والخديعة لذلك صارت له هذه عادة وخلقاً ، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله ، وصار عيالاً على غيره في ذلك بل وكسلت النفس عن أكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ، ومدى إنسانيتها ، فارتكس وعاد في أسفل السافلين ...

فينبغي للمعلم في متعلمه ، والوالد في ولده أن لا تستبدأ عليهم في التأديب . وقد قال محمد بن ابي زيد في كتابه الذي ألفه في " حكم المعلمين والمتعلمين" لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً . ومن كلام عمر (رضي الله عنه) : من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله . حرصاً على صوت النفوس من مذلة التأديب ، وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له فأنه أعلم بمصلحته "[١].

(١) عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ) ، مقدمة ابن خلدون (ط/١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٩٤) : ٥٤.

تعليم أولاد الخلفاء :

كـان الخلفـاء والأمـراء والأغنيـاء يتخـذون لأودلاهـم معلمـين خاصـين يحضـرون إلـى القصـور ، ويجلسـون الأولاد إلـيهم يتلقـون مـنهم الثقافـة والعلـم والمعرفة ، وغالباً ما كان الوالد يشترك في تخطيط وتحديد ما يتعلمه أبنه من معلمه الخاص . وقد أطلق على هذا المعلم "المُؤدِّب " وكان معظمهم يقيم في القصور إذ خصص لهم جناح خاص للإقامة ليكون أشرافهم على التربية أحكم وأشمل .

لذا نجد هرون الرشيد يوصي مؤدب ولده الأمين وتعد هذه الوصية من أفضل المناهج الدراسية المتكاملة ، إذ احتوت على خير دستور في المعاملة والعقوبة المدرسية ، والتربية الدينية، والأدبية ، والخلقية ، والاجتماعية ، وتتمثل الحكمة الخاصة فيها .

" ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده . قال خلف الأحمر[١] : بعث إلي الرشيد في تأديب ولده محمد ألأمين ، فقال : يا أحمر أن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه ، وثمرة قلبه فصير يدك عليه مبوسطة، وطاعته لك واجبة ، فكن له حيث وضعك أمير المؤمنين . أقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار وره الأشعار ، وعلمه السنن ، وبصره بمواقع الكلام ، وبدئه ، وأمنعه من

(١) خلف الأحمر : خلف بن حيان أبو سعيد ، ويكنى بابي محرز مولى ابي موسى الشعري ، وقيل : مولى بني أمية ، وقيل أصله من خراسان من سبي قتيبة بن مسلم الباهلي ، وكان من أمرس الناس لبيت شعر ، وكان شاعراً يعمل الشعر على لسان الناس . ترجمته : ابن النديم ، الفهرست : ٧٤ .

الضحك إلا في أوقاته ، وخذ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ، ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده أياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة" [١]

الخاتمة :

كان علي بن حمزة الكسائي السدي مولاهم الكوفي منشؤه أعجمي الأصل ، قدم بغداد وسكن فيها ، برع في القرآن والنحو واللغة ، حضر مجالس العلماء ، وقرأ عليه ، ورحل إلى البلدان للدراسة وأخذ العلم . أدب الرشيد وولده الأمين ، فأكرمه لعلمه وفضله ، ألف اربعة عشر مؤلفاً .

قال محمد بن أدريس الشافعي : من أراد أن يتحر في النحو فعيال على ينوي . قال أبو بكر بن الدفع : اجتمعت للكسائي أمور لم تجتمع لغيره فكان واحد الناس في القرآن ، وكان أعلم الناس بالنحو وواحدهم في الغريب (ت ١٨٩هـ) .

---

(١) ابن خلدون ، المقدمة : ٤٣٧ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً : المصادر

البخاري ، محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ)

١. التاريخ الكبير حققه السيد هاشم الندوي (دار الفكر ، بيروت) .

الترمذي ، محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) .

٢. سنن الترمذي ، حققه أحمد محمد شاكر (دار إحياء التراث ، بيروت).

الجرجاني ، حمزة بن يوسف (ت ٣٤٥هـ)

٣. تاريخ جرجان، حققه محمد عبد المعين (ط/٣ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٤).

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ)

٤. المنتظم ، (ط/١ ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٥٨ هـ) .

٥. صفوة الصفوة، حققه محمد فاخوري (ط/١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٦) .

ابن حجر ، أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)

٦. نزهة الالباب في الالقاب ، حققه عبد العزيز بن محمد (ط/١ ، مكتبة الرشيد ، الرياض ، ١٩٨٩) .

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ)

٧. تاريخ بغداد (دار الكتب العلمية ، بيروت) .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ)

٨. المقدمة (ط/١ ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٤) .

ابن خلكان ، أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ)

٩. وفيات الأعيان ، حققه د. احسان عباس (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٨)

الذهبي ، محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)

١٠. سير أعلام النبلاء ، حققه معيب الأرنؤوط (ط/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣هـ) .

١١. العبر في خبر من غبر ، حققه محمد السعيد بن بسيوني زغلول (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥) .

١٢. معرفة القراء الكبار ، حققه بشار عواد (ط/١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠١ هـ) .

ابن رجب الحنبلي ، عبد الرحمن بن أحمد (ت ٧٩٥هـ)

١٣. شرح حديث العلم ، حققه د. ناصر حسين أحمد (ط/١ ، مكتب دار نحلة ، بغداد ، ٢٠٠٨) .

الشريف الرضي ، محمد بن الحسين (ت ٤٩٨هـ)

١٤. نهج البلاغة (نشر لقاء ، طهران) .

ابن عبد الحق البغدادي ، صفي الدين عبد المؤمن (ت ٧٣٩هـ)

١٥. مراصد الاطلاع ، حققه محمد علي بجاوي (ط/١ ، دار إحياء الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٥٥) .

ابن عبد الله الخزرجي ، صفي الدين أحمد (ت ٩٢٣ هـ)

١٦. خلاصة تهذيب الكمال(ط/٢ ، المطبوعات الإسلامية ، بيروت ، ١٩٧١).

الغزالي ، محمد بن محمد (ت هـ)

١٧. إحياء علوم الدين (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٤) .

الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)
١٨. البلغة في تراجم النحويين واللغة ، حققه محمد المصري (ط/١ ، جمعية إحياء التراث ، الكويت ، ١٤٠٧هـ)
ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)
١٩. المعارف ، حققه ثروت عكاشة (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٦٠)
المرادي ، علي ين سليمان (ت ٨٨٥)
٢٠. الأنصاف ، حققه محمد حامد (دار التراث الحديث ، بيروت) .
مسلم ، ابن الحجام (ت ٢٦١هـ)
٢١. الكنى والاسماء ، حققه عبد الرحيم محمد (ط/١ ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٤ هـ).
٢٢. صحيح مسلم،حققه محمد فؤاد عبد الباقي (دار إحياء التراث العربي ، بيروت).
ابن النديم ، محمد بن اسحق (ت ٣٨٥هـ)
٢٣. لفهرست (دار صادر ، بيروت).
أبو نعيم ، أحمد بن محمد (ت ٤٣٠ هـ)
٢٤. حلية الأولياء (ط/٢ ، دار الكتب العلمية ، بيوت ، ١٩٨٨)

ثانياً : المراجع

الجندي ، نزيه أحمد
٢٥. تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب (مطبعة الاتحاد ، دمشق، ١٩٧٧) .